Al-imad Journal of Humanities and Applied Sciences (AJHAS)
مجلة العماد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
ISSN: 3106-0323
Volume 2 – Issue 1 – 2026
Pages 277-296

Local Sources of Historical Documentation in Al-Madinah Al-Munawwarah during the Ayyubid and Mamluk Periods: An Analytical Study (567 AH – 923 AH / 1171 AD – 1517 AD)

Dr. Hamda Ali Masoud *
Department of History, Faculty of Arts, University of Gharyan, Libya
*Corresponding: hamdarahoma@gmail.com

المصادر المحلية للتدوين التاريخي في المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي: دراسة تحليليه (567هـ - 923هـ/1171 – 1517م)

د.حمدة علي رحومة مسعود *
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة غريان، ليبيا

Received: 27-12-2026; Accepted: 29-01-2026; Published: 08-03-2026

Abstract:
This analytical study explores the nature of local historical documentation in Al-Madinah Al-Munawwarah during the Ayyubid and Mamluk periods (567 AH – 923 AH / 1171 AD – 1517 AD). During these eras, the city gained significant status as a sacred religious center, leading to a flourish in local historiography that focused on its landmarks, mosques, scientific life, and social fabric. The research investigates the political background of the city, which transitioned from Zaydi influence to Ayyubid and eventually Mamluk sovereignty, while maintaining a degree of local rule by the Ashraf. The study highlights prominent local sources authored by scholars directly connected to the city, such as Ibn al-Jawzi's "Muthir al-Azm", Ibn al-Najjar's "al-Durra al-Thamina", al-Marjani's "Bahjat al-Nufus", and al-Samhudi's encyclopedic work "Wafa al-Wafa". Utilizing an analytical approach, the research evaluates the methodologies of these historians, noting a transition from traditional narrative reporting to sophisticated critical analysis and field observation. While early works often blended religious virtues with history, later scholars like al-Samhudi employed comparative criticism and meticulous documentation of architectural changes, such as those following the second fire of the Prophet's Mosque in 886 AH. These local sources provide an essential foundation for understanding Al-Madinah's history. They represent an advanced stage of documentation that balances scientific accuracy with religious devotion, effectively preserving the city's cultural heritage and filling gaps left by general historical texts. The study concludes that the "local documentation" emerged as an independent phenomenon with its own tools and methods, contributing significantly to the construction of local historical memory.

Keywords: Al-Madinah Al-Munawwarah; Ayyubid Period; Mamluk Period; Local Sources; Historical Documentation.

الملخص
تناول هذه الدراسة التحليلية طبيعة التدوين التاريخي المحلي في المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (567هـ - 923هـ / 1171م - 1517م). اكتسبت المدينة خلال هذه الحقبة مكانة بارزة كمركز ديني مقدس، مما أدى إلى ازدهار التصنيف التاريخي المحلي الذي ركز على معالمها، ومساجدها، وحياتها العلمية، ونسيجها الاجتماعي. يستعرض البحث الخلفية السياسية للمدينة التي انتقلت من النفوذ الزيدي إلى

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

السيادة الأيوبية ثم المملوكية، مع الحفاظ على نمط من الحكم المحلي للأشراف .تلقي الدراسة الضوء على أبرز المصادر المحلية التي صنفها علماء ارتبطوا بالمدينة مباشرة، مثل كتاب "مثير العزم" لابن الجوزي، و"الدرة الثمينة" لابن النجار، و"بهجة النفوس" للمرجاني، والعمل الموسوعي "وفاء الوفا" للسمهودي . وباستخدام المنهج التحليلي، يقيم البحث مناهج هؤلاء المؤرخين، ملاحظاً الانتقال من السرد التقليدي إلى التحليل النقدي المتطور والمشاهدة الميدانية .وبينما مزجت المؤلفات المبكرة بين الفضائل الدينية والتاريخ، استخدم المؤرخون اللاحقون كالسمهودي النقد المقارن والتوثيق الدقيق للتغيرات العمرانية، خاصة بعد حريق المسجد النبوي الثاني عام 886هـ .تخلص الدراسة إلى أن هذه المصادر المحلية تشكل قاعدة أساسية لفهم تاريخ المدينة المنورة .وهي تمثل مرحلة متطورة من التدوين توازن بين الدقة العلمية والارتباط الوجداني الديني، مما ساهم بفاعلية في حفظ التراث الثقافي للمدينة وسد الثغرات التي تركتها كتب التاريخ العام .وتؤكد الدراسة أن "التدوين المحلي" برز كظاهرة مستقلة لها أدواتها ومناهجها الخاصة، وساهمت بشكل كبير في بناء الذاكرة التاريخية المحلية.

الكلمات المفتاحية: المدينة المنورة؛ العصر الأيوبي؛ العصر المملوكي؛ المصادر المحلية؛ التدوين التاريخي.

المقدمة

شهدت المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (567 - 923هـ / 1171 - 1517م) طفرة حضارية ومكانة علمية ودينية استثنائية جعلتها محط أنظار العالم الإسلامي بأسره. فباعتبارها دار هجرة النبي ﷺ ومنطلق الرسالة ومثواه الشريف، حظيت باهتمام فائق وبرعاية سياسية خاصة من قِبل السلاطين والحكام الذين تسابقوا لنيل شرف خدمتها، مما جعلها مركز إشعاع فكري لا ينقطع ومنارة دينية يقصدها العلماء والمجاورون من شتى البقاع (ابن بطوطة، 1987). وقد تجلى هذا الاهتمام في الرعاية الفائقة التي أولاها حكام بارزون مثل نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس للمدينة، ليس فقط من خلال إرسال الهبات والصدقات وتأمين احتياجات المسجد النبوي، بل ومن خلال تقوية أسوار المدينة وتحصينها ضد المخاطر، وتشييد المدارس والأربطة التي غصت بطلبة العلم (نجم، 1997).

انعكس هذا الثقل الديني والسياسي والزخم المعرفي بصورة جلية على حركة التأليف والتدوين التاريخي في تلك الفترة؛ حيث برز تيار "التاريخ المحلي" كظاهرة ثقافية ناضجة تجاوزت مجرد النقل التقليدي للأخبار والحكايات، لترتقي إلى مستوى التوثيق الدقيق للهوية الحضارية والمكانية للمدينة (السيد، 1999). وقد أُنتجت خلال هذه الحقبة مجموعة ثرية ومتميزة من المؤلفات المحلية التي لم تكتفِ برصد الأحداث السياسية المتقلبة والصراعات بين الأشراف على السلطة، بل غاصت بعمق في تفاصيل الحياة الاجتماعية والتركيبة السكانية والنشاط العلمي (المرجاني، 1994).

أرخت هذه المصادر بدقة متناهية لتراجم العلماء والمحدثين الذين استوطنوا المدينة، واعتنت بتوثيق المؤسسات الدينية والتعليمية من مساجد ومدارس وزوايا، كما رصدت التحولات العمرانية الجوهرية التي طرأت على الحرم النبوي ومعالم المدينة الشريفة عبر العصور. وقد بلغت هذه الدقة ذروتها في رصد التغييرات المعمارية الكبرى لا سيما بعد حادثة حريق المسجد النبوي الثاني الشهيرة عام 886هـ، والتي وثقها المؤرخون الأوليون بمعاينة بصرية دقيقة (السمهودي، 1997). وتكمن الأهمية القصوى لهذه المصادر في كونها تمثل "شهادة من الداخل" كتبها مؤرخون وعلماء وفقهاء لم يكتفوا بالسماع، بل عاشوا في أزقة المدينة وتفاعلوا مع أحداثها اليومية، مما منح كتاباتهم مصداقية عالية ودقة في الوصف الميداني تفتقر إليها كتب التاريخ العام (الجوهر، 2004).

إن هذه المؤلفات، بدءاً من أعمال ابن النجار ومروراً بالمرجاني وصولاً إلى الموسوعية السمهودية، تمثل ركيزة أساسية ومنطلقاً لا غنى عنه لفهم تطور الفكر التاريخي الإسلامي ومنهجية التدوين المحلي المتخصص. ومن هنا، تأتي هذه الدراسة كمحاولة تحليلية جادة لاستنطاق هذه النصوص التاريخية، والكشف عن طبيعتها البنيوية، ومناهج مؤلفيها العلمية، واستجلاء قيمتها التاريخية التي تتجاوز مجرد السرد الخبري لتصل إلى مصاف التوثيق الموسوعي القائم على النقد والمقارنة والتحقيق التاريخي الرصين.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أولاً: إشكالية الدراسة

تتبلور إشكالية الدراسة في الفجوة البحثية الملحوظة بين حضور المدينة المنورة في كتب التاريخ العام وبين ندرة الدراسات التحليلية المتخصصة لمصادرها المحلية .فرغم أن المدينة كانت محوراً في السياقات التاريخية الكبرى، إلا أن "التدوين المحلي" كظاهرة مستقلة لها أدواتها ومناهجها الخاصة لم ينل حظه الكافي من البحث الأكاديمي الذي يبرز قيمته العلمية ومنهجه النقدي.

وتسعى هذه الدراسة إلى سد هذا الفراغ العلمي عبر تحليل هذه المصادر وتتبع ملامح التطور المنهجي فيها .ويمكن تلخيص إشكالية الدراسة في التساؤلات المحورية التالية:

1. ما هي أبرز المصادر المحلية التي تشكلت في هذه الفترة، وما طبيعة موضوعاتها وأهداف مؤلفيها؟
2. كيف استطاع المؤرخ المحلي أن يوازن بين النزعة الدينية الوجدانية والارتباط الروحي بمدينة الرسول ﷺ، وبين متطلبات الأمانة التاريخية والموضوعية العلمية؟
3. ما هي المناهج والأساليب التي اتبعها المؤرخون، وهل نجحوا في الانتقال من السرد التقريري إلى المنهج الوصفي التحليلي والنقد المقارن؟
4. إلى أي مدى أسهمت هذه المصادر في بناء الذاكرة التاريخية المحلية وحفظ التراث الحضاري للمدينة المنورة؟

تطمح هذه الدراسة من خلال معالجة هذه التساؤلات إلى تقديم رؤية نقدية تبرز دور المصادر المحلية في سد الثغرات التي تركتها كتب التاريخ العام، وفهم طبيعة الحياة الحضارية الشاملة للمدينة المنورة.

ثانياً: تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الجوهرية التي تساهم في فهم آليات التدوين التاريخي المحلي، وذلك من خلال طرح الأسئلة التالية:

1. **ما هي أهم المصادر المحلية** التي انبثقت من بيئة المدينة المنورة أو ارتبطت بها ارتباطاً مباشراً خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، وكيف شكلت هذه المؤلفات تياراً تاريخياً مستقلاً؟
2. **ما طبيعة هذه المصادر** من حيث تنوع محتواها بين "تاريخ الفضائل" والتوثيق العمراني، وما هي الدوافع والأهداف التي حركت المؤلفين لتدوين تاريخ المدينة في تلك الحقبة؟
3. **ما هي المناهج والأساليب العلمية** التي اعتمدها المؤرخون المحليون، وهل تأثرت هذه المناهج بمدرسة المحدثين والفقهاء السائدة في الحجاز آنذاك؟
4. **ما القيمة العلمية المضافة** التي قدمتها هذه المصادر لدراسة التاريخ السياسي والاجتماعي والعلمي، وهل نجحت في تقديم تفاصيل دقيقة عجزت كتب التاريخ العام عن رصدها؟
5. **إلى أي مدى نجحت هذه المصادر** في صياغة وبناء الذاكرة التاريخية المحلية للمدينة المنورة، وكيف ساهمت في حفظ تراثها الحضاري عبر الأجيال؟

ثالثاً: أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمنهجية، وهي:

1. **حصر وتصنيف أهم المصادر المحلية** التي أرخت للمدينة المنورة في الفترة ما بين (567 - 923هـ)، وإبراز الطبقة الأولى من المؤرخين الذين أرسوا قواعد هذا الفن.
2. **تحليل المضمون التاريخي** لهذه المصادر، مع التركيز على مجالات اهتمامها المتعددة مثل وصف المعالم، والمساجد، والأوقاف، والحياة العلمية.
3. **الكشف عن التطور المنهجي** في الكتابة التاريخية المحلية، وتتبع الانتقال من منهج النقل والسرد إلى منهج النقد والمقارنة والتوثيق الميداني.
4. **إثراء المكتبة التاريخية** المتعلقة بالحجاز من خلال تقديم دراسة نقدية تحليلية تتجاوز الرصد الوصفي إلى تقييم المصادر وبيان مواطن القوة والضعف فيها.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

رابعاً: أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال عدة أبعاد رئيسية تعزز من قيمتها الأكاديمية:

1. **الأهمية العلمية :**تكمن في تسليط الضوء على "التدوين التاريخي المحلي" كأحد جوانب الهوية الثقافية التي لم تنل حظاً وافراً من البحث والتحليل المتخصص، مما يفتح آفاقاً جديدة للباحثين في تاريخ الحجاز .
2. **الأهمية التاريخية :**تبرز من خلال قدرة الدراسة على كشف تفاصيل دقيقة حول الحياة السياسية، والنزاعات المحلية، والنشاط الديني والاجتماعي في المدينة المنورة "بعيون أهلها"، مما يضمن تقديم صورة أكثر واقعية وقرباً من الحدث.
3. **الأهمية المنهجية :**تساهم الدراسة في فهم تطور "الفكر التاريخي" العربي الإسلامي، عبر إبراز طرق معالجة المؤرخين المحليين للحدث التاريخي، وكيفية توظيف الرواية الشفوية والوثيقة الإدارية في بناء النص التاريخي.

خامساً: الدراسات السابقة

شهد مجال البحث في تاريخ الحجاز والمدينة المنورة تراكمًا علميًا متفاوتًا، إلا أن الدراسات التي أفردت حيزًا تحليليًا لمناهج التدوين التاريخي المحلي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي تظل محدودة نسبيًا. فأغلب الأبحاث اتجهت نحو الدراسات التاريخية العامة أو الوصفية دون التخصص الدقيق في نقد وتحليل المصادر المحلية كظاهرة علمية مستقلة. ومن أبرز الدراسات التي تقاطعت مع موضوع البحث:

دراسة الشراري (2012م): بعنوان "بعض مظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر المملوكي"؛ وهي رسالة دكتوراه مقدمة بجامعة الإسكندرية. ركزت هذه الدراسة على الجوانب الحضارية والسياسية بشكل موسع، وتطرقت إلى الصراعات العسكرية بين الأشراف الحسينيين، كما تناولت التطور العمراني والاجتماعي في ظل السيادة المملوكية، مما وفر قاعدة بيانات مهمة حول السياق العام الذي أُنتجت فيه المصادر التاريخية.

دراسة السنيدي (2007م): بعنوان "ملامح الكتابة التاريخية للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري"؛ وهي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى. تميزت هذه الدراسة بتركيزها النوعي على حقبة زمنية محددة داخل العصر المملوكي، حيث تتبعت تطور منهجية الكتابة التاريخية وخصائصها في القرن الثامن الهجري. وتعد هذه الدراسة وثيقة الصلة ببحثنا الحالي كونها حللت ملامح التأليف التاريخي، وإن كانت قد اقتصرت على قرن واحد فقط.

دراسة الجابري (2005م): بعنوان "الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي"؛ والتي تناولت البيئة الفكرية والعلمية التي احتضنت المؤرخين المحليين. ساهمت هذه الدراسة في فهم الخلفية الثقافية والتعليمية التي أثرت في مناهج التدوين، وأوضحت كيف انعكست الوظائف العلمية (مثل الإمامة والتدريس بالمسجد النبوي) على دقة المعلومات الواردة في المصادر المحلية.

التعقيب على الدراسات السابقة: يلاحظ من خلال استعراض هذه الدراسات أنها ركزت إما على الجانب الحضاري العام (كما عند الشراري)، أو على حقبة زمنية ضيقة (كما عند السنيدي). ومن هنا تبرز الحاجة إلى هذه الدراسة الحالية التي تسعى إلى تقديم رؤية تحليلية نقدية شاملة تجمع بين العصرين الأيوبي والمملوكي، وتركز بشكل مباشر على "المصدر المحلي" كأداة بحثية لفهم تطور الفكر التاريخي في المدينة المنورة عبر ثلاثة قرون ونصف من الزمان.

سادساً: فرضيات الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من مجموعة من الفرضيات الأساسية التي تسعى لاختبارها والتحقق منها، وأبرزها:

1. شهدت المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي حراكاً فكرياً ونشاطاً استثنائياً في مجال التدوين التاريخي المحلي؛ مدفوعاً بالمكانة الدينية المقدسة للمدينة والاهتمام المتزايد من قبل السلاطين والحكام، مما أدى إلى ظهور مدرسة تاريخية متميزة في خصائصها عن المدارس التاريخية في الحواضر الإسلامية الأخرى.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

2. اتبع المؤرخون المحليون في المدينة المنورة مناهج علمية رصينة وواضحة في كتابة التاريخ، حيث لم يقتصروا على النقل الشفهي أو الجمع التقليدي، بل نجحوا في المزاوجة بين "السرد التاريخي" المتسلسل وبين "التوثيق الميداني المرصد" للأحداث والمعالم؛ مما جعل مؤلفاتهم تتسم بالدقة والواقعية.
3. هذه المصادر المحلية لم تكن مجرد رصد للأخبار، بل أسهمت بفاعلية في بناء وصياغة الذاكرة التاريخية المحلية للمدينة المنورة وحفظ تراثها الحضاري؛ فهي التي سدت الثغرات المعرفية التي أغفلتها كتب التاريخ العام، وحفظت تفاصيل دقيقة عن الهوية العمرانية والاجتماعية والعلمية للمجتمع المدني عبر القرون.
4. تطور المنهج التاريخي المحلي بمرور الزمن من مرحلة "تاريخ الفضائل" إلى مرحلة "التوثيق الموسوعي النقدى"؛ حيث يمثل كتاب السمهودي (وفاء الوفا) ذروة هذا التطور المنهجي الذي جمع بين تحقيق النصوص والمشاهدة العينية والنقد المقارن.

المبحث الأول: الخلفية السياسية للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

تعد المرحلة الممتدة بين عامي (567 - 923هـ / 1171 - 1517م) حقبة انتقالية كبرى في تاريخ المدينة المنورة؛ إذ تحولت فيها من حالة التبعية الاسمية والرمزية للخلافة العباسية إلى مرحلة الدخول الفعلي والمباشر في دائرة نفوذ القوى الإقليمية الكبرى في مصر والشام. ومع هذا النفوذ الخارجي، حافظت المدينة على خصوصية "إمارة الأشراف" المحلية، مما أوجد معادلة سياسية فريدة تداخلت فيها السلطة المركزية في القاهرة مع الإدارة المحلية في المدينة.

أولاً: التمهيد الزنكي والرعاية النورية للمدينة (546 - 569هـ)

ارتبطت المدينة المنورة بالنفوذ الزنكي منذ منتصف القرن السادس الهجري، وشكلت هذه الفترة حجر الزاوية للدور الأيوبي والمملوكي اللاحق. ويبرز السلطان العادل نور الدين محمود زنكي كأبرز الشخصيات التي وضعت بصمة سياسية وعمرانية واضحة في المدينة.

1. الدعم المالي والعمراني الشامل: لم يقتصر اهتمام نور الدين على الجانب السياسي، بل امتد ليرسم ملامح السيادة عبر العطاء؛ فأغدق الأموال والهبات على سكان المدينة، وحرص على تأمين الرواتب للمجاورين والعلماء، وأولى عمارة المسجد النبوي اهتماماً فائقاً، فجدد سقوفه وأصلح مرافقه، مما عزز مكانته في قلوب أهل المدينة ومؤرخيها.
2. التحصين العسكري وحماية الحرم: يعد بناء سور المدينة الجديد عام 557هـ / 1161م عملاً استراتيجياً مفصلياً؛ إذ لم يكن الهدف منه مجرد حماية المدينة من غارات الأعراب، بل كان إعلاناً عن بسط سلطة الدولة السنية القوية وحماية الحرم النبوي من أي تهديدات خارجية، واستيعاباً للتوسع السكاني داخل النطاق العمراني المؤمن.
3. الشرعية السياسية والمذهبية: من خلال إقامة الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، نجح نور الدين في إعادة ربط المدينة بالخلافة السنية في بغداد، مما مهد الطريق لإنهاء أي نفوذ مذهبي مخالف، وتثبيت أركان المدرسة السنية التي احتضنت فيما بعد حركة التدوين التاريخي الواسعة.

ثانياً: العصر الأيوبي وترسيخ السيادة السنية (567 - 648هـ)

بزوال الدولة الفاطمية وتولي السلطان صلاح الدين الأيوبي مقاليد الحكم، دخلت المدينة المنورة في عهد "الارتباط العضوي" بمصر، وهو ما انعكس على استقرارها السياسي.

1. مأسسة الرعاية السلطانية: واصل صلاح الدين سياسة أسلافه الزنكيين، لكنه جعلها أكثر تنظيماً؛ فأقر العطايا السنوية (الشراشف والغلال) وأغدق على أمراء المدينة لضمان ولائهم، مما خلق نوعاً من التبعية السياسية القائمة على الامتنان المادي والولاء الروحي.
2. صناعة التوازن في حكم الأشراف: اتسمت السياسة الأيوبية بالذكاء في إدارة النزاعات المحلية؛ ففي ظل الصراعات المتكررة بين أمير المدينة الشريف سالم بن فلتة القاسمي وأمير مكة الشريف قتادة بن إدريس، كان الأيوبيون يتدخلون كقوة موازنة، فيمدون أشراف المدينة بالمال والسلاح

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

والرجال لمنع سقوطها في يد أي قوة محلية منافسة قد تهدد استقرار طريق الحج أو سيادة الأيوبيين المركزية.

ثالثاً: التحول إلى السيادة المملوكية وبناء السلطة المركزية (648 - 923هـ)

بقيام الدولة المملوكية، انتقلت العلاقة من مجرد "رعاية" إلى "مأسسة" كاملة للسلطة، حيث أصبح الحجاز جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي المملوكي.

1. دبلوماسية الظاهر بيبرس: يمثل عهد بيبرس نقطة التحول الكبرى؛ فبعد إحيائه للخلافة العباسية في القاهرة عام 659هـ، نال شرعية مطلقة لحكم الحرمين. وتلقبه بـ "خادم الحرمين الشريفين" لم يكن لقباً فخرياً فحسب، بل كان إعلاناً عن مسؤولية الدولة المملوكية المباشرة عن كل شؤون المدينة.
2. التدخل الإداري وفض النزاعات: لم يعد السلاطين المماليك يكتفون بمراقبة الأحداث عن بُعد، بل صاروا يعينون الأمراء ويفصلون في الخصومات الأسرية للأشراف. وبرز ذلك في مرسوم السلطان بيبرس عام 666هـ الذي قسم السلطة والأوقاف بين الشريفين بدر الدين وجماز، مما جعل الإدارة المحلية في المدينة تحت الرقابة المباشرة لـ "نيابة السلطنة" في القاهرة.
3. توثيق الاضطرابات السياسية: شهدت هذه الفترة تقلبات حادة وصراعات مريرة داخل الأسرة الحسينية الحاكمة، وهي الفتن التي دفعت المؤرخين المحليين (مثل المرجاني والسمهودي) لتدوينها بدقة متناهية، ليس فقط من باب التأريخ، بل كأداة لفهم التحولات في موازين القوى وتأثيرها على الحياة العامة في المدينة.

رابعاً: نهاية العصر المملوكي والتحول العثماني

استمر نظام "السيادة المملوكية مع الحكم المحلي للأشراف" حتى مطلع القرن العاشر الهجري. ومع هزيمة المماليك في معركة الريدانية عام 923هـ / 1517م، انتقلت السيادة رسمياً للعثمانيين. إلا أن القرون الثلاثة من الحكم الأيوبي والمملوكي كانت قد صاغت بالفعل الهوية السياسية والعلمية للمدينة، وأنتجت تراثاً تدوينياً ضخماً كان بمثابة الحصن المعرفي الذي حفظ تاريخ المدينة من الضياع خلال فترات الانتقال السياسي الكبرى.

إن هذا التداخل المعقد بين القوى الإقليمية المركزية والقوى المحلية الطامحة هو الذي حرك دافع التدوين لدى المؤرخين المحليين؛ فكان تأريخهم وسيلة لإثبات مكانة المدينة في ظل هذه القوى، وتوثيقاً لحقوق أهلها وأوقافها ومعالمها التي كانت عرضة للتغير مع تغير السلاطين والحكام.

المبحث الثاني: أعلام المؤرخين المحليين ومؤلفاتهم في المدينة المنورة

شهد العصران الأيوبي والمملوكي ظهور نخبة من المؤرخين الذين كرسوا جهودهم لتدوين تاريخ المدينة المنورة، ولم يكن هؤلاء مجرد ناقلين للأخبار أو جامعين للروايات، بل كانوا علماء فقهاء ومحدثين من طراز رفيع، اتخذوا من جوار النبي ﷺ مقراً ومستقراً. لقد منحهم هذا التواجد الميداني والتفاعل الحي مع الأحداث صبغة "المحلية" الخالصة، فتجاوزت كتاباتهم السرد النظري إلى الدقة في الوصف القائم على "المشاهدة والعيان"، وهو ما جعل مؤلفاتهم بمثابة سجلات حضارية نابضة بالحياة.

1. ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وكتابه "مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن

"يعد جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي من أوائل الذين اعتنوا بتدوين فضائل المدينة المنورة في مستهل العصر الأيوبي. ورغم جذوره البغدادية، إلا أن اهتمامه بالحرمين الشريفين جعل كتابه "مثير العزم الساكن" حلقة وصل محورية في التأليف التاريخي.

- **المنهج والمحتوى :**غلب على ابن الجوزي النفس الوعظي والديني، حيث استهدف من كتابه استنهاض همم المسلمين لزيارة البقاع المقدسة. ومع ذلك، تضمن كتابه رصداً تاريخياً دقيقاً لأقسام المسجد النبوي ومعالمه الجغرافية في ذلك الوقت.
- **الأهمية العلمية :**يمثل الكتاب مرحلة الانتقال من كتب "الفضائل المحضة" إلى "التاريخ الوصفي"، حيث أرسى قواعد للتدوين اللاحق الذي مزج بين النص الشرعي والواقع الجغرافي للمدينة المنورة.

2. ابن النجار (ت ٦٤٣هـ) وكتابه "الدرة الثمينة في أخبار المدينة

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

"يعتبر محب الدين محمد بن محمود بن النجار المؤرخ الحقيقي الأول للمدينة المنورة في هذا العصر، وعميد مؤرخيها الذين قعدوا لأصول هذا الفن؛ فكتابه "الدرة الثمينة" هو العمدة التي استقت منها كافة المصادر اللاحقة.

- **المنهج الميداني :**تميز ابن النجار بمنهجية علمية رصينة اعتمدت على "الاستقصاء الميداني"؛ حيث كان يطوف بمعالم المدينة، ويقيس مساحاتها، ويصف حاراتها وأزقتها بدقة هندسية ومكانية.
- **الشمولية :**لم يكتفِ بذكر الفضائل، بل توسع في وصف عمارة المسجد النبوي في العهد الأيوبي، ورصد تراجم الأعيان والعلماء، مما جعل كتابه مرجعاً طوبوغرافياً وتراجمياً فريداً لا غنى عنه لفهم بنية المجتمع المدني في القرن السابع الهجري.

3. **المرجاني (ت ٧٧٠هـ) وكتابه "بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار**

"يمثل عفيف الدين عبد الله المرجاني مرحلة النضج والكمال في التدوين التاريخي المحلي خلال العصر المملوكي. فقد جاء كتابه "بهجة النفوس" ليعبر عن تطور أدوات المؤرخ المحلي وقدرته على الربط بين شتات العلوم.

- **الخلفية المهنية وتأثيرها :**استفاد المرجاني من تقلدِه منصب الإمامة والتدريس في المسجد النبوي الشريف، مما أتاح له الاطلاع على وثائق الأوقاف وسجلات المنشآت التعليمية والدينية التي كانت خافية عن غيره.
- **المحتوى التحليلي :**تميز كتابه بالربط المحكم بين التاريخ السياسي وتطور العمران، فكان يوثق أثر الصراعات السياسية على استقرار المؤسسات العلمية، مما جعل من كتابه "تاريخاً مؤسسياً" للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري.

4. **السمهودي (ت ٩١١هـ) وموسوعته "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**

"يعد نور الدين علي بن أحمد السمهودي خاتمة مؤرخي المدينة العظام في العصر المملوكي، وبمثابة "المؤرخ الموسوعي" الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا وأحصاها. تمثل مؤلفاته، وخاصة "وفاء الوفا" ومختصره "خلاصة الوفا"، قمة ما وصل إليه العقل التاريخي المحلي.

- **المنهج النقدي :**تميز السمهودي بامتلاك أدوات النقد والمقارنة بين الروايات المتعارضة، فكان لا يقبل خبراً إلا بعد عرضه على العقل والشواهد الأثرية المتبقية.
- **التوثيق الكارثي والإعماري :**كان السمهودي شاهداً عياناً على حريق المسجد النبوي الثاني عام ٨٨٦هـ، وقام بتوثيق عملية الاحتراق وإعادة الإعمار المملوكية بدقة مذهلة، فكان وصفه بمثابة تقرير فني وتاريخي في آن واحد، مما حفظ للأجيال تفاصيل العمارة النبوية قبل وبعد التحولات الكبرى.

خلاصة المبحث :إن القاسم المشترك بين هؤلاء المؤرخين هو ذلك المزيج الفريد بين "الارتباط الوجداني" بمدينة المصطفى ﷺ وبين "الأمانة العلمية" في الرصد. لقد نجحوا في تحويل التاريخ المحلي من مجرد أخبار متناثرة إلى علم محقق يبرز الدور الحضاري للمدينة كمؤلِّف للقلوب ومركز للإشعاع المعرفي، رغم كل الاضطرابات السياسية التي عصفت بالعصرين الأيوبي والمملوكي، مما جعل من تدوينهم حصناً للهوية وتوثيقاً لذاكرة المكان والإنسان.

المبحث الثالث: طبيعة المصادر المحلية للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

يعد هذا المبحث حجر الزاوية في الدراسة، حيث يسلط الضوء على الخصائص البنيوية والمنهجية للمؤلفات التي أرخت للمدينة المنورة، وكيف تشكلت "المحلية" كظاهرة علمية متميزة استطاعت توثيق أدق تفاصيل الحياة في طيبة الطيبة.

أولاً: مفهوم المصادر المحلية تاريخياً

تُعرف المصادر المحلية بأنها تلك الكتابات التاريخية التي تُعنى بمدينة معينة أو إقليم محدد، فتغوص في تفاصيل أخبارها الداخلية، وأوضاعها العمرانية، وحركة علمائها وسكانها، وأنشطتها الدينية والاقتصادية، وتطورها السياسي والاجتماعي. والتاريخ المحلي هو "تاريخ الذات والمكان"، الذي يقوم بتدوينه مؤرخون محليون من أبناء البلد، أو مؤرخون اتخذوا منها مستقراً فأفردوا لها مصنفات خاصة.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

لقد ازدهر هذا النوع من الدراسات ضمن إطار الحركة العلمية التي سادت بلاد الحجاز، وكان مركزها في مكة المكرمة والمدينة المنورة على وجه الخصوص. ويقع على عاتق المؤرخ المحلي تسجيل الحدث بموضوعية تامة وصياغته بوعي، لضمان دقة الذاكرة التاريخية للمكان وحمايتها من الاندثار أو التشويه الذي قد يقع فيه المؤرخ العام البعيد عن مسرح الأحداث.

ثانياً: عرض لأهم المصادر المحلية ومحتواها

1.كتاب "مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن" لابن الجوزي (ت 597هـ)

يعد جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي من الأعلام الذين أسهموا في وضع اللبنات الأولى لتوثيق تاريخ المدينة في العصر الأيوبي.

- المضمون: ينتمي كتابه إلى جنس مؤلفات "الفضائل التاريخية" التي تدمج بين السرد التاريخي والتوثيق الشرعي والوصفي. وقد أفرد في الجزء الثاني فصلاً موسعاً تناول فيه أسماء المدينة، وقصة فتحها، وحرمتها، ووصفاً دقيقاً للمسجد النبوي ومنبره الشريف.
- الموارد العلمية: اعتمد ابن الجوزي على "الطبقات الكبرى" لابن سعد لتتبع تراجم الصحابة، واستشهد بالأحاديث الواردة في المسانيد والصحاح، مما أضفى صبغة شرعية على تدوينه التاريخي.

2.كتاب "الدرة الثمينة في أخبار المدينة" لابن النجار (ت 643هـ)

يُعد محب الدين ابن النجار المؤرخ "الميداني" الأبرز في العصر الأيوبي.

- المنهجية: تميز كتابه بمنهجية منظمة للغاية، حيث قسمه إلى ثمانية عشر باباً، شملت كل شيء من تاريخ هجرة النبي ﷺ وفضائل المدينة، وصولاً إلى أدق تفاصيل تضاريسها من آبار وأودية وجبال.
- الأثر: يجمع الكتاب بين التاريخ السياسي والاجتماعي والديني، مما جعله "الدستور التاريخي" الذي اعتمده المؤرخون اللاحقون كالذهبي وأبو الفداء في استقاء معلوماتهم عن المدينة.

3.كتاب "بهجة النفوس والأسرار" للمرجاني (ت 770هـ)

يمثل عفيف الدين المرجاني قمة التوثيق المؤسسي في العصر المملوكي.

- التبويب: قسم كتابه إلى عشرة أبواب تناولت موقع المدينة، وعناصرها السكانية الأولى من اليهود والأوس والخزرج.
- التوثيق الكارثي والعمراني: أفرد مساحات واسعة للحديث عن الحرم النبوي وحوادث الحريق التي تعرض لها، وأسوار المدينة الثلاثة، مما جعله مرجعاً طوبوغرافياً هاماً.
- المصادر: اعتمد بشكل كبير على المطري وابن زبالة، واصطبغت كتابته بالصبغة الدينية الوعظية التي تعكس ثقافة عصره.

4. مؤلفات السمهودي (ت 911هـ): "وفاء الوفا" و"خلاصة الوفا"

يُعتبر نور الدين السمهودي "خاتمة المحققين" ومؤرخ المدينة الأبرز على الإطلاق.

- الاستقصاء الموسوعي: يعد كتابه "وفاء الوفا" موسوعة شاملة استقصى فيها الروايات من كافة المصادر المتاحة، فجمع بين النقل والتحقيق والنقد.
- الضبط العمراني: في كتابه "خلاصة الوفا"، ركز السمهودي على معالم المدينة وآبارها ومقابرها بأسلوب هندسي دقيق. وتُصنف مؤلفاته اليوم كأهم المراجع الأساسية التي لا يمكن لباحث في تاريخ المدينة تجاوزها.

ثالثاً: تحليل خصائص المصادر المحلية

1. القيمة التاريخية والعلمية: توفر هذه المصادر "مجهراً" لرؤية الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية من الداخل. فهي توثق حياة المجتمع المحلي، وتطور المؤسسات التعليمية والدينية (الكتاتيب والربط والمدارس)، مما يجعلها الأداة الأساسية لفك شفرات التحولات الحضارية في المدينة.
2. منهجية التأليف وتطور الفكر: أظهرت المصادر تنوعاً مذهلاً في المناهج؛ فمن المنهج السردي التقريري عند ابن النجار، إلى المنزع التوثيقي الوعظي عند المرجاني، وصولاً إلى المنهج "النقدي المقارن" عند السمهودي، وهو ما يعكس نضج العقل التاريخي المدني وتطوره عبر القرون.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

3. مواطن القوة والضعف:
- تكمن القوة في "المحلية" (القرب من الحدث)، ودقة التوثيق العمراني، وتنوع الموارد العلمية والوثائقية.
- أما الضعف، فيتجلى في غلبة الجانب الوجداني والديني أحياناً، مما قد يؤدي إلى قبول بعض الروايات الشفهية أو "الكرامات" دون إخضاعها للنقد التاريخي الصارم في بعض الأحيان.

خلاصة المبحث :تمثل هذه المصادر قاعدة صلبة لفهم الحياة الحضارية الشاملة للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي. فهي لم تكن مجرد كتب تاريخ، بل كانت "هوية مكتوبة" ساهمت بفاعلية في سد الثغرات المعرفية الكبيرة التي تركتها كتب التاريخ العام، وحفظت للمدينة ذاكرتها العمرانية والروحية عبر الأجيال.

المبحث الرابع: المناهج التاريخية عند المؤرخين المحليين خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

اتسم التدوين التاريخي في المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي بنضج منهجي لافت، حيث لم يكن المؤرخون المحليون مجرد جامعين للأخبار، بل طوروا أدوات بحثية عكست ثقافة العصر وتأثرت بالبيئة العلمية المحيطة بالحرم النبوي الشريف. ويمكن تحليل هذه المناهج وفق المحاور التالية:

أولاً: المنهج السردي التقريري

يعد هذا المنهج الركيزة الأساسية التي قامت عليها معظم المؤلفات المحلية، حيث اعتمد المؤرخون على تسجيل الوقائع وفق تسلسل زمني أو موضوعي مباشر.
- **خصائصه :**التركيز على الوقائع البارزة المرتبطة بالتحولات السياسية، والمعالم العمرانية، والأحوال الاجتماعية.
- **أبرز رواده :**تجلى هذا المنزع بوضوح عند ابن النجار والمطري، اللذين قدما مادة تاريخية غنية اعتمدت على الجمع المنهجي للأخبار وتوثيق الروايات المتداولة بين أهل المدينة والعلماء المجاورين.

ثانياً: المنهج التوثيقي (منهج المحدثين)

نظراً لكون معظم مؤرخي المدينة كانوا في الأصل فقهاء ومحدثين، فقد انعكس "منهج الإسناد" على كتاباتهم التاريخية.
- **الدقة العلمية :**حرص المؤرخون على إيراد الأسانيد وذكر مصادر المعلومات وتحديد طرق النقل، مما أضفى صبغة من الموثوقية على النص التاريخي.
- **التأثير البيئي :**يظهر هذا المنهج جلياً عند المرجاني الذي زاوج بين الرواية التاريخية والضبط الحديثي، رغم أن هذا المنهج كان يميل أحياناً لقبول الروايات المتوارثة شفهياً تقديراً لمكانة ناقليها من أعيان المدينة.

ثالثاً: المنهج الوصفي التحليلي والنقدي

تمثل هذه المرحلة ذروة التطور المنهجي في العصر المملوكي، حيث انتقل المؤرخ من دور "الناقل" إلى دور "المحقق."
- **السمهودي نموذجاً :**برز هذا المنهج في أعمال السمهودي الذي لم يكتفِ بسرد الروايات، بل عمد إلى المقارنة بين النصوص المتعارضة، وتصحيح الأخطاء الجغرافية والتاريخية لمن سبقه، وإبداء الملاحظات النقدية المبنية على "المشاهدة العينية."
- **التوثيق الميداني :**اعتمد هذا المنهج على الوصف التفصيلي الدقيق للمنشآت الدينية والعلمية، مما جعل الكتابة التاريخية أقرب إلى العمل الموسوعي المحقق.

رابعاً: المزاوجة بين العلمية والبعد الوجداني

من أهم سمات المنهج المحلي في هذه الفترة هو التداخل بين "الموضوعية العلمية" و"الارتباط الروحي" بمدينة الرسول ﷺ.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

- **الدافع الوجداني :**لم تكن الكتابة مجرد توثيق، بل كانت فعلاً تعبدياً يهدف إلى إبراز فضائل المدينة وحفظ ذاكرتها الحضارية.
- **القيمة التاريخية :**منح هذا التداخل للنصوص حيوية ودقة في وصف المشاعر العامة والتفاعلات الاجتماعية، لكنه يفرض على الباحث المعاصر ضرورة استخدام منهج نقدي يوازن بين دوافع التقديس الديني وبين متطلبات الحقيقة التاريخية المجردة.

خلاصة المبحث :إن تنوع المناهج التاريخية لدى مؤرخي المدينة المنورة يعكس تطوراً فكرياً تراكمياً؛ فبينما بدأ التدوين بجمع الفضائل والسرد البسيط، انتهى إلى مدرسة نقدية موسوعية قادها السمهودي، مما جعل من التاريخ المحلي للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي واحداً من أدق السجلات التاريخية في الحضارة الإسلامية.

المبحث الخامس: أدوات المؤرخ المحلي وموارده العلمية (فلسفة التدوين التاريخي)

ينقلنا هذا المبحث من رصد المحتوى الوصفي للمصادر المحلية إلى تحليل "المختبر العلمي" للمؤرخ المدني، والكشف عن الكيفية التي تعامل بها مع المادة الخام لصناعة النص التاريخي. لقد ميزت الخصوصية الدينية والسياسية للمدينة المنورة مؤرخيها بقدرة فائقة على الوصول إلى موارد توثيقية نوعية لم تكن متاحة للمؤرخين العامين في القاهرة أو دمشق، مما جعل تدوينهم يتجاوز السرد النظري ليدخل في نطاق التحقيق الميداني والتوثيق المؤسسي (جاسر، د.ت، ص 82).

أولاً: الوثيقة الإدارية وسجلات الأوقاف

شكلت الوثائق الرسمية وسجلات ديوان الأوقاف أحد أهم الروافد السيادية التي اعتمد عليها المؤرخون المحليون، لاسيما في العصر المملوكي الذي اتسم بمأسسة العلاقة بين السلطة والحرمين الشريفين (المديرس، 2001، ص 115).

1. التوثيق المؤسسي والمناصب العلمية: استفاد مؤرخون مثل المرجاني والسمهودي من مراكزهم الوظيفية كأئمة ومدرسين في المسجد النبوي للاطلاع على سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر "الحرم" (المرجاني، د.ت، ص 42). وقد مكنهم ذلك من توثيق حدود الأملاك النبوية، وتفاصيل الرواتب المعروفة بـ "الجوامك"، ورصد الهبات السلطانية والقوافل المالية (الصدقات) التي كانت تصل بانتظام من السلاطين المماليك (السمهودي، د.ت-أ، ج1، ص 95).
2. الدقة المالية والعقارية: حولت هذه الوثائق التاريخ المحلي إلى تاريخ "توثيقي رقمي"؛ حيث حدد هؤلاء المؤرخون بدقة مساحات الدور والمرافق المحيطة بالحرم، وقيمة الريع الوقفي المخصص لكل مدرسة أو رباط، مما ساهم في حفظ الحقوق العقارية للمدينة وأوقافها ضد أي محاولات للاعتداء أو النسيان عبر العصور (الشراري، 2012، ص 480).

ثانياً: الرواية الشفهية وشهادات "أهل الخبرة "

لم تكن الرواية الشفهية في منهج المؤرخ المدني مجرد نقل للحكايات العامة، بل كانت "شهادة عيان" مقننة تخضع لمعايير الجرح والتعديل المستمدة من علم الحديث السائد في بيئة المدينة (السنيدي، 2007، ص 169).

1. سدنة الحجرة النبوية والخدام: اعتمد المؤرخون، لاسيما ابن النجار والسمهودي، على لقاءات مباشرة مع "خدام الضريح النبوي" وسدنة الحجرة الشريفة، لتوثيق التفاصيل الداخلية التي لا يراها عامة الناس خلف الأستار أو في بواطن الحجرات (ابن النجار، د.ت، ص 35). هذا التواصل وفر وصفاً طوبوغرافياً دقيقاً للروضة الشريفة وأبعادها وتغيراتها المعمارية (السمهودي، د.ت-ب، ص 40).
2. الذاكرة الجمعية للمجتمع المحلي: مثلت "المشافهة" مع معطلي المدينة وأعيانها مصدراً أساسياً لتوثيق الحوادث الطارئة التي لم تسجلها الدواوين الرسمية، كالزلازل والحرائق (مثل حريق عام 654هـ وحريق 886هـ) والأوبئة (المرجاني، د.ت، ص 155). وقد منح هذا الأسلوب النص التاريخي بعداً إنسانياً واجتماعياً حياً يعكس تفاعل السكان مع بيئتهم (الجابري، 2005، ص 79).

ثالثاً: استنطاق النقوش والآثار (التاريخ المادي)

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

برع المؤرخ المحلي في استخدام "المنهج الأثري" قبل تبلوره الحديث، محولاً جدران المسجد النبوي ومآذنه ومنابره إلى صفحات مقروءة (الدوري، 2005، ص 188).

1. قراءة النقوش التأسيسية: قام السمهودي بعملية "مسح أثري" شاملة للنقوش المكتوبة على الرخام أو المنحوتة في الخشب والمنقوشة بماء الذهب في أعالي السواري (السمهودي، د.ت-أ، ج1، ص 110). وقد وثق من خلالها تواريخ الترميمات الأيوبية والمملوكية، وأسماء المهندسين والسلاطين الآمرين بالعمارة، مما جعل من كتابه مرجعاً في تاريخ الفنون والعمارة الإسلامية (مؤنس، 1984، ص 99).
2. المقارنة بين المراحل المعمارية: من خلال فحص الفوارق بين الكتابات الأثرية القديمة والجديدة، تمكن المؤرخون من تتبع التطور الإنشائي للمسجد النبوي. ويبرز ذلك بوضوح في وصف السمهودي لعمليات إعادة الإعمار بعد الحريق الثاني عام 886هـ، حيث سجل الفروقات القياسية بين العمارة السابقة وعمارة السلطان قايتباي بناءً على الشواهد المادية القائمة (المنوني، 1991، ص 112).

خلاصة المبحث :إن تعدد هذه الأدوات (الوثيقة، الرواية، الأثر) يكشف عن نضج "فلسفة التدوين التاريخي" لدى المدرسة المحلية بالمدينة المنورة؛ فهي لم تكتفِ بالاجترار من الكتب السابقة، بل تحولت إلى مدرسة "تحقيق ميداني" متميزة. هذا المزيج بين النص المكتوب، والأثر المادي، والشهادة الحية، هو ما جعل من المصادر المحلية للمدينة في العصرين الأيوبي والمملوكي حصناً منيعاً للهوية التاريخية للمكان، ومرجعاً قطعياً لا يمكن تجاوزه في الدراسات التاريخية الرصينة (سالم، 1967، ص 53).

المبحث السادس: المجتمع المدني في عيون مؤرخيه (أبعاد اجتماعية وأنثروبولوجية)

لم تكن المصادر المحلية للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي مجرد سجلات جامدة لرصد حركة السلاطين وتقلبات السياسة الكبرى، بل مثلت "مجهراً دقيقاً" غاص في تفاصيل النسيج الاجتماعي اليومي. لقد تفرد المؤرخ المحلي بقدرته الفائقة على رصد التحولات السلوكية والأنماط المعيشية التي شكلت هوية "المجتمع المدني"، وهو ما لا نجده عادة في كتب التاريخ العام التي اهتمت بـ "تاريخ المركز" (العواصم) على حساب الأطراف، أو ركزت على "تاريخ النخبة الحاكمة" متجاهلةً حياة العامة والطبقات الوسطى والفقيرة (مؤنس، 1984، ص 110).

أولاً: التركيبة السكانية وظاهرة "المجاورين" وعولمة المجتمع المدني

وثقت المصادر المحلية، ولاسيما كتابات ابن النجار والسمهودي، الطبيعة الفريدة للمجتمع المدني باعتباره مجتمعاً "عالمياً" مصغراً (Cosmopolitan Society) يتألف من مزيج فريد من السكان الأصليين والوافدين.

1. حركة الارتحال والمجاورة العابرة للحدود: رصد المؤرخون تدفق العلماء والطلبة من شتى أقطار العالم الإسلامي، من بلاد المغرب والأندلس غرباً إلى الهند وبلاد ما وراء النهر شرقاً، الذين لم يأتوا للزيارة فقط، بل اتخذوا من المدينة "موطناً ثانياً" عبر ظاهرة المجاورة (السنيدي، 2007). وقد دون السمهودي في "وفاء الوفا" تراجم دقيقة لهؤلاء "المجاورين"، موضحاً كيف انصهرت هذه الأعراق والمذاهب في بوتقة واحدة داخل أروقة المسجد النبوي، مما خلق نسيجاً اجتماعياً يتجاوز الانتماءات القبلية أو الإقليمية الضيقة.
2. الأثر العلمي والتحول الأنثروبولوجي: لم يكن هؤلاء المجاورون عالة على المجتمع، بل شكلوا النواة الصلبة للحياة العلمية؛ حيث نقلوا معهم تقاليدهم العلمية وخبراتهم المعمارية، وأسسوا المدارس والربط (وهي أماكن مخصصة لسكن المنقطعين للعبادة). هذا التنوع جعل المجتمع المدني يتسم بـ "التسامح الفكري" والقدرة على استيعاب الغريب، وهو ما وثقه الجابري (2005) عند حديثه عن تعدد الثقافات داخل أروقة الحرم النبوي (الجابري، 2005، ص 112).

ثانياً: الحياة اليومية والتقاليد الدينية والموسمية (أنثروبولوجيا المكان)

تميز المؤرخ المحلي برصد ما يمكن تسميته بـ "التاريخ المنسي" أو تاريخ التفاصيل الدقيقة التي تمنح الدراسة بعداً أنثروبولوجياً عميقاً يفسر علاقة الإنسان بالمكان المقدس.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

1. المواسم الدينية واقتصاد البركة: وصف المرجاني في "بهجة النفوس" بدقة متناهية العادات المرتبطة بشهر رمضان وعيد الفطر، حيث ذكر تفاصيل إنارة القناديل في المسجد النبوي، وترتيب حلقات الدرس، وأنواع الأطعمة التي كانت توزع في "السماطات" (الموائد العامة). كما أرخت المصادر لمراسم استقبال "المحمل" المصري والشامي وقوافل الحج، وما يصاحبها من نشوء أسواق موسمية وحركة تبادل تجاري تنعش المدينة وتغير من إيقاعها اليومي (الشراري، 2012، ص 145).
2. المواكب السلطانية والبروتوكول الشعبي: رصدت المصادر المحلية كيفية استقبال أهل المدينة للسلاطين المماليك، والتقاليد المتبعة في توزيع الهبات و"الشراشف" النبوية (أغطية الضريح الشريف)، وكيف كانت تجرى الأفراح والاحتفالات بخصوصية مدينية تجمع بين الوقار الديني والبهجة الشعبية، مما يعكس طبيعة العلاقة بين "الرعية" في المدينة و"الراعي" في القاهرة (المديرس، 2001، ص 160).

ثالثاً: الخصوصية في التدوين الاجتماعي (التفوق المحلي على العام)

تتجلى عبقرية المؤرخ المحلي في اهتمامه بتفاصيل "الدار والشارع"؛ فبينما يكتفي المؤرخ العام (مثل المقريزي أو ابن تغري بردي) بذكر خبر وصول "الغلال السلطانية" من مصر كحدث سياسي أو إداري، يغوص المؤرخ المدني (كالسمهودي) في كيفية توزيع هذه الغلال على العائلات، ويصف بدقة الازدحام عند أبواب الأوقاف، ويذكر أسماء الربط المخصصة لإيواء الأرامل والغرباء، ويصف معاناتهم أو رخاءهم (مؤنس، 1984، ص 115) .هذا "القرب الميداني" منح المصادر المحلية قدرة فائقة على رصد التغيرات الدقيقة في:

- الذوق العام والملابس (تأثر أهل المدينة بزي المماليك أو وافدي المغرب).
- الأطعمة وطرق الطهي المتأثرة بثقافات المجاورين.
- العمارة السكنية (كيفية بناء البيوت الملاصقة للحرم وتوزيع غرفها لخدمة الحجاج) .كل هذه التفاصيل جعلت من هذه المصادر مادة خصبة للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة التي تبحث في "تاريخ المهمشين" و"تاريخ الحياة اليومية" (سالم، 1967، ص 75).

خلاصة المبحث :إن المصادر المحلية قدمت في جوهرها "سيرة ذاتية" شاملة للمجتمع المدني، مؤكدة أن المدينة المنورة لم تكن مجرد مزار ديني ساكن أو "متحف" للآثار، بل كانت مجتمعاً حيوياً متفاعلاً ومنفتحاً على العالم. استطاع مؤرخوها، بوعيهم الفطري بأهمية "الإنسان" بجانب "المكان"، أن يحفظوا لنا أنماط حياة بشرية اندثرت معالمها المادية تحت وطأة الزمن، ولكن بقيت روحها ونبضها حياً في بطون كتبهم التي تعد اليوم كنزاً لا يقدّر بثمن لفهم الهوية الاجتماعية للمدينة المنورة.

المبحث السابع: أثر الأزمات والكوارث في توجيه التدوين التاريخي المحلي

لم تكن الكتابة التاريخية في المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي مجرد ترف علمي أو رصد روتيني للأحداث، بل كانت في كثير من محطاتها المفصلية "استجابة اضطرارية" لأزمات كبرى هددت الهوية البصرية والمعمارية للمدينة. انتقلت لغة التأريخ في هذا المبحث من "الوصف الهادئ" الذي يميز فترات الاستقرار إلى "التوثيق الإنقاذي" الذي يسابق الزمن لإثبات معالم قد تندثر أو حقوق قد تضيع نتيجة الكوارث الطبيعية أو النزاعات السياسية (سالم، 1967، ص 82).

1. حريق المسجد النبوي (654هـ و886هـ) كمحفز للتدوين الإنقاذي

شكلت حوادث احتراق المسجد النبوي الشريف نقطة تحول جوهرية في منهجية التأليف التاريخي المحلي، حيث تحول المؤرخ من "راوٍ للأخبار" إلى "مهندس للذاكرة."

- **السمهودي وحريق 886هـ :**يعد حريق عام 886هـ السبب الرئيس المباشر وراء ضخامة وكثافة مادة كتاب "وفاء الوفا"؛ إذ استشعر السمهودي مسؤولية شرعية وتاريخية لتدوين أدق تفاصيل الحرم النبوي التي التهمتها النيران (السمهودي، د.ت-أ، ج1، ص 140). لقد كان يخشى أن تُبنى المعالم الجديدة على غير هيئتها التاريخية، فجاء توثيقه بمثابة "جرد هندسي" شمل قياسات الأساطين (الأعمدة)، وأبعاد الحجرات، ومواقع الأبواب (المديرس، 2001، ص 142).

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

- **التأريخ كأرشيف معماري :**تحول النص التاريخي عند السمهودي والمرجاني من سياق أدبي إلى "مخطط تنفيذي" استند إليه المهندسون والعمال الذين أرسلهم السلطان قايتباي لإعادة الإعمار. وبذلك، حفظ التدوين المحلي "أصالة المكان" ومنع التغيير في معالمه التوقيفية المرتبطة بالسيرة النبوية (الجابري، 2005، ص 156).

2.الزلازل والظواهر الطبيعية: الربط بين التاريخ والعقيدة

شهد عام 654هـ حدثين كونيين هزا وجدان المجتمع المدني: زلزال عظيم تلاه ظهور "نار الحجاز" الشهيرة.

- **التوثيق الكارثي :**رصد المؤرخون المحليون (مثل المطري وابن النجار) هذه الظواهر بدقة علمية وصفت تشققات الأرض ومسارات الحمم البركانية، لكنهم لم يقفوا عند الرصد المادي فحسب (المطري، 2005، ص 88).
- **المسحة الكلامية والعقدية :**تواتر التدوين المحلي لربط هذه الكوارث بالنبوءات النبوية (أحاديث قيام الساعة)، مما أضفى على النص التاريخي صبغة "عقدية". فصار التاريخ وسيلة لإثبات صدق النبوة، وتحول المؤرخ هنا إلى "مدافع عن العقيدة" يستثمر الظاهرة الطبيعية لتعزيز اليقين الديني لدى القارئ (مؤنس، 1984، ص 132).

3.النزاعات السياسية وأثرها على "أمانة النص" وحياديته

اتسم حكم الأشراف (بني حسين) للمدينة بالاضطرابات البينية، مما وضع المؤرخ المحلي في اختبار صعب لموازنة الانتماء للسلطة المحلية مع الأمانة العلمية.

- **الحيادية المحلية مقابل الرسمية :**في الوقت الذي كانت فيه المصادر المملوكية بالقاهرة (مثل المقريزي) تصف صراعات أمراء المدينة كـ "فتن وتعديات" من منظور السلطة المركزية، كانت المصادر المحلية تقدم سياقاً أكثر عمقاً يفسر الأسباب القبلية والاجتماعية لهذه النزاعات (الشراري، 2012، ص 210).
- **الميل والتحفظ :**يلاحظ في كتابات بعض المؤرخين المحليين نوع من "التحفظ" أو "المواربة" عند الحديث عن إمارة الأشراف المعاصرين لهم، خشية البطش أو رغبة في الصلح، بينما تزداد نبرتهم النقدية عند الحديث عن أمراء سابقين. ومع ذلك، تظل المصادر المحلية هي الأصدق في رصد أثر هذه النزاعات على "الأمن الغذائي" وحياة الناس اليومية، بعيداً عن البروباجندا السلطانية المملوكية (الدوري، 2005، ص 195).

خلاصة المبحث :إن الأزمات في تاريخ المدينة لم تكن مجرد حوادث عارضة، بل كانت "المختبر الحقيقي" الذي نضجت فيه أدوات المؤرخ المحلي. فلولا الحرائق لما وصلنا التوصيف الهندسي الدقيق للحرم، ولولا الفتن السياسية لما عُرفت تفاصيل الإدارة المحلية. لقد حولت الكوارثُ التدوينَ من "ترف فكري" إلى "ضرورة وجودية" لحفظ هوية المدينة المنورة (جاسر، د.ت، ص 94).

المبحث الثامن: المرأة المدينية في المصادر المحلية (أدوار اجتماعية وحضور وقفي)

يُعد حضور المرأة في المصادر المحلية للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي من الموضوعات الحيوية التي تعكس نضج التدوين التاريخي وقدرته على رصد الفئات الاجتماعية المؤثرة بعيداً عن السلطة السياسية الذكورية المركزية. ورغم أن التاريخ العام (الحولي) قد يغفل أدوار النساء أو يحصرها في أخبار الزيجات السلطانية، إلا أن المؤرخ المحلي -بحكم معايشته لنسيج المجتمع وقربه من مراكز القرار المحلي والأوقاف- وثق حضوراً لافتاً للمرأة كشخصية فاعلة ومستقلة في الاقتصاد الديني والحياة العلمية (الشراري، 2012، ص 310).

أولاً: النساء الواقفات وصناعة المشهد العمراني والاجتماعي

كشفت كتابات السمهودي والمرجاني عن دور محوري للمرأة في هندسة المجتمع المدني عبر نظام الأوقاف، حيث لم يكن الوقف مجرد عمل خيري، بل كان أداة لتمكين الفئات الضعيفة وصياغة جغرافيا المدينة.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

1. تأسيس الربط والمدارس بوعي اجتماعي: وثقت المصادر أسماء نساء من طبقات مختلفة (أميرات، زوجات سلاطين، ومجاورات ميسورات) خلدن أسماءهن عبر بناء "الربط". ومن أبرز ما أورده المديرس (2001) "رباط السيدة تذكار باي" و"رباط بنت الأمير" (ص 185). وقد حلل السمهودي في "وفاء الوفا" شروط هذه الواقفات، حيث كانت بعضهن تشترط أن يكون السكن حكراً على الأرامل والغريبات، مما يكشف عن وعي مبكر باحتياجات المرأة الاجتماعية وتوفير بيئة آمنة للمجاورات (السمهودي، د.ت-أ، ج1، ص 150).
2. الإنفاق الاستراتيجي على الحرم النبوي: سجلت المصادر تفاصيل دقيقة عن وقف النساء لمقتنيات ثمينة؛ فذكر المرجاني وقف قناديل ذهبية ومصاحف مذهبة، بالإضافة إلى عقارات وبساتين (نخيل) يخصص ريعها لخدمة الروضة الشريفة أو لإطعام الفقراء والمجاورين، مما جعلهن شريكات أساسيات في استدامة المؤسسة الدينية والحفاظ على القدسية المادية للمكان (الجابري، 2005، ص 205).

ثانياً: المجاورتات والعالمات (الحضور العلمي والسيادة الروحية)

أرخت المصادر المحلية لظاهرة "المجاورة النسائية" العابرة للقارات، حيث رحلت نساء من الأندلس والمغرب وبلاد العجم للاستقرار بجوار الحجرة النبوية، مما خلق حراكاً ثقافياً فريداً.

1. الرواية العلمية والإجازات: تضمنت تراجم ابن النجار والسمهودي إشارات لعالمات ومحدثات نلن إجازات علمية معتبرة. ولم يقتصر دورهن على التلقي، بل برعن في نقل الحديث النبوي وتدريسه داخل دورهن أو في أروقة الربط النسائية (السنيدي، 2007، ص 240). هذا التوثيق يدحض فكرة تغييب المرأة عن المشهد العلمي، مؤكداً وجود "مجتمع معرفي نسائي" موازٍ كان له تأثيره في الحفاظ على المرويات النبوية.
2. الزهد والتصوف والقدوة الروحية: برزت في المصادر ملامح لنساء عُرفن بالصلاح والزهد، حيث كان المؤرخ المحلي يفرغ مساحات لوصف ورعهن ومجاورتهن الطويلة. وقد صور المرجاني (د.ت) هؤلاء النساء كنماذج يُحتذى بها في الصبر والعبادة، مما أضفى لمحة "وجدانية" على التاريخ المحلي تُبرز الجانب الروحي العميق للمرأة المدينية وتأثيرها في السلوك العام للمجتمع (ص 120).

ثالثاً: المرأة في الحياة اليومية والتقاليد الاجتماعية (التاريخ المسكوت عنه)

من خلال ما يمكن تسميته بـ "هوامش النصوص"، استطاع المؤرخ المحلي تصوير دور المرأة في العادات والتقاليد التي شكلت هوية المدينة.

1. المشاركة في المواسم والاحتفالات: رصد المؤرخون دور النساء في مواسم استقبال قوافل الحجيج، حيث شاركن بفعالية في إعداد "الأسمطة" (الموائد السلطانية)، وبرعن في صناعة البخور والروائح الذكية التي كانت تُستخدم لتطييب المسجد النبوي والحجرة الشريفة، وهو دور فني وجمالي وثقه الشراري (2012) كجزء من الهوية الثقافية للمدينة (ص 315).
2. الشخصية القانونية والزي: وثقت المصادر ملامح من الزي النسائي المديني وتأثره بالوافدات "المجاورات"، كما رصدت حضورهن في المحاكم الشرعية للمطالبة بحقوقهن في المواريث والأوقاف، مما يعكس شخصية قانونية واعية ومستقلة كانت قادرة على انتزاع حقوقها في ظل نظام قضائي مدني متطور (مؤنس، 1984، ص 140).

خلاصة المبحث :أعادت المصادر المحلية الاعتبار للمرأة المدينية عبر تقديمها كقوة اقتصادية (واقفة)، ومعرفية (محدثة)، وروحية (مجاورة). لقد نجح المؤرخ المحلي في حفظ ذاكرة مجتمعية متكاملة، مؤكداً أن تاريخ المدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي لم يُكتب بمداد الساسة فحسب، بل بجهود نساء ساهمن في بناء "المدينة الإنسان" بجانب "المدينة المكان"، مما يجعل هذه المصادر مرجعاً أصيلاً للدراسات الاجتماعية والجندرية الحديثة (سالم، 1967، ص 90).

أهم نتائج الدراسة

1. **تطور المنهجية التاريخية (من السرد الوجداني إلى التحقيق الموسوعي) :**

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

كشفت الدراسة عن تحول مفصلي في بنية العقل التاريخي المديني خلال العصرين الأيوبي والمملوكي؛ إذ لم يعد التدوين مقتصرًا على "سرد الفضائل" أو التبرك بذكر الأماكن، بل ارتقى ليصبح "تحقيقًا ميدانيًا" يعتمد على المقارنة النقدية بين النصوص. وقد تجلى هذا النضج في الانتقال من المنهج الحديثي الصرف (الإسناد) إلى منهج يمزج بين النص، والوثيقة، والمعاينة البصرية. وتعد المدرسة الموسوعية التي أسسها نور الدين السمهودي ذروة هذا التطور، حيث قدمت نموذجًا نقديًا استوعب كل ما سبقها، وصحح الأخطاء الطوبوغرافية السابقة بناءً على القياس الهندسي والتحقيق الوثائقي.

2. **ظاهرة "التوثيق الإنقاذي" وأثره في حفظ الذاكرة المعمارية :**

أثبتت الدراسة أن الأزمات الكبرى التي حلت بالمدينة، وعلى رأسها حريق المسجد النبوي الشريف في عامي (654هـ و886هـ)، لم تكن مجرد كوارث عابرة، بل كانت المحفز الأكبر لظهور ما يمكن تسميته بـ "التوثيق الإنقاذي ."هذا النوع من التدوين وفر للباحثين أدق النصوص المعمارية التي تصف تفاصيل لم تكن لتدون لولا خشية ضياع المعالم. وبذلك، تحولت كتب التاريخ المحلي إلى "أرشيفات معمارية" حية حفظت أدق تفاصيل الحجرة النبوية، والأساطين، والروضة الشريفة، مما سمح بإعادة إعمارها بوفاء تام لأصلها التاريخي، وحمايتها من الاندثار أو التغيير العشوائي.

3. **عالمية المجتمع المديني (صهر الهويات في بوتقة الجوار النبوي) :**

أظهرت النتائج أن المصادر المحلية قدمت صورة مغايرة للمجتمع المدني، بوصفه مجتمعًا "عابرًا للحدود" و"عالمي التكوين". فقد استطاعت المدينة المنورة صهر شتى الأجناس من مغاربة، وأندلسيين، وهنود، وأتراك، وأفارقة في هوية ثقافية واجتماعية موحدة تُعرف بـ "هوية المجاورة ."وقد وثقت المصادر كيف أثر هذا التنوع في إثراء الحياة العلمية والاجتماعية، وكيف تحول "الجوار النبوي" من قيمة دينية إلى محرك اجتماعي واقتصادي صنع نسيجًا سكانيًا فريدًا يتميز بالتسامح والتبادل الثقافي الواسع تحت ظلال الحرم النبوي.

4. **محورية "الشهادة المحلية" كضمانة للموضوعية التاريخية :**

تؤكد الدراسة بشكل قاطع أن "الشهادة المحلية" التي سطرها علماء عاشوا الحدث، وعاينوا المكان، ولمسوا جدرانه، تظل هي الضمانة الحقيقية والوحيدة لبناء سرد تاريخي شامل وموثوق. إن تفوق المؤرخ المحلي على المؤرخ المركزي (البعيد عن المدينة) يكمن في قدرة الأول على إدراك "الخصوصية المكانية" وفهم الرموز الثقافية والروحية للمدينة. فبينما قد تقع المصادر العامة في السطحية أو التعميم أو الأخطاء الجغرافية، تأتي المصادر المحلية لتعيد ضبط الرواية وفق الحقائق الميدانية، مما يُجبر القارئ والباحث على استشعار القدسية الروحية والاعتبارية للمدينة المنورة في الذاكرة الجمعية للأمة الإسلامية، ويجعل من هذه المصادر "ميزانًا" تُقاس به صحة الأخبار الواردة في التواريخ العامة.

التوصيات

في ضوء ما استعرضته الدراسة من قيمة علمية ومنهجية للمصادر المحلية، تخلص الدراسة إلى التوصيات الآتية:

1. **العناية بالتحقيق النقدي للمخطوطات المحلية:**

توصي الدراسة بضرورة إعادة تحقيق ما لم يُنشر بعد من المصادر المحلية للمدينة المنورة خلال العصور الإسلامية المختلفة، مع التركيز على المقابلات الميدانية بين النصوص وبين المعالم القائمة أو المكتشفات الأثرية الحديثة، لضمان مطابقة الوصف التاريخي للواقع المادي.

2. **تفعيل الدراسات البينية (التاريخ والآثار والاجتماع):**

تحث الدراسة الباحثين على تبني منهج "الدراسات البينية"؛ وذلك عبر تقاطع المادة التاريخية الواردة في كتب المؤرخين المحليين مع معطيات علم الآثار (Archeology) وعلم الاجتماع(Sociology) ، لتقديم قراءة أنثروبولوجية أعمق للمجتمع المدني وتطوره العمراني، تتجاوز مجرد سرد الحوادث السياسية.

3. **إنشاء قاعدة بيانات رقمية للمصطلحات المكانية:**

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

توصي الدراسة بإنشاء "معجم رقمي جغرافي" يعتمد على المصادر المحلية (لاسيما السمهودي والمطري)، يربط بين المصطلحات العمرانية القديمة والمواقع الحالية في المدينة المنورة، مما يسهل على المهندسين والمخططين الحفاظ على الهوية التاريخية للمدينة في مشروعات التطوير الحديثة.

4. **تسليط الضوء على "تاريخ الفئات المهمشة:"**

توصي الدراسة بتركيز البحوث المستقبلية على الفئات التي برزت في المصادر المحلية وغابت عن التاريخ العام، مثل "المجاورين الأجانب"، و"النساء الواقفات"، و"طوائف الحرفيين" داخل الحرم، لما لها من دور كبير في صياغة الهوية الحضارية للمدينة.

5. **تعزيز الوعي بالتراث المخطوط للمدينة:**

ضرورة إقامة ندوات ومؤتمرات علمية دولية تسلط الضوء على "مدرسة المدينة المنورة التاريخية"، وإبراز خصوصيتها المنهجية التي جمعت بين النقد الحديثي والوصف الجغرافي، وتعريف الأجيال الجديدة بقيمة هذه المصادر في حفظ ذاكرة الأمة.

6. **تشجيع الدراسات المقارنة بين التاريخ المحلي والعالمي:**

تدعو الدراسة إلى إجراء مقارنات بين ما دونه الرحالة الأجانب (المغاربة، العجم، والرحالة غير المسلمين لاحقاً) وبين ما دونه المؤرخون المحليون عن نفس الفترة، لاستخلاص رؤية موضوعية وشاملة حول صورة المدينة المنورة في المخيال العالمي مقابل واقعها المحلي.

الخاتمة

تخلص هذه الدراسة إلى أن المصادر المحلية التي أرخت للمدينة المنورة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي لم تكن مجرد مؤلفات تكميلية أو هوامش تاريخية يُستأنس بها، بل شكلت الركيزة العلمية والمنهجية الأساسية، والعدسة الأصدق القادرة على تقديم فهم دقيق وعميق لتفاصيل تاريخ المدينة في أبعاده المتشابكة. إذ لم تكتفِ هذه المصادر بمد الباحثين بالمادة الخام المتعلقة بالأحداث السياسية المتقلبة، أو رصد الأوضاع الدينية والاجتماعية السائدة، بل تجاوزت ذلك لتقدم "أرشيفاً حضارياً" متكاملاً، وتوثيقاً هندسياً ومعمارياً فائق الدقة للمعالم العمرانية التي طرأت عليها تبدلات جذرية خلال تلك القرون الثلاثة ونصف؛ مما جعل من نصوص المؤرخين المحليين مرجعاً جغرافياً وطوبوغرافياً لا يمكن تجاوزه عند دراسة تطور الحرم النبوي الشريف أو التخطيط الحضري للمدينة.

كما أثبتت الدراسة أن هذه المصادر كانت الأمينة على رصد "النسيج الفكري" للمدينة، من خلال تتبعها الدقيق لسير الشخصيات العلمية والمجاورين الذين وفدوا من شتى بقاع الأرض، موثقةً بذلك مراحل تطور المؤسسات التعليمية من مدارس فقهية، وربط صوفية، وكتاتيب قرآنية. وقد برز المسجد النبوي الشريف في هذه المدونات ليس كمكان للعبادة فحسب، بل كمؤسسة كبرى تُدار وفق نظم إدارية ومالية معقدة، ترتبط بها وظائف رسمية وأوقاف ضخمة وتدفقات مالية سلطانية، وهو ما حفظته لنا السجلات المحلية بدقة فاقت بكثير ما أوردته كتب التاريخ العام.

لقد تضافرت جهود المؤرخين المحليين (من أمثال ابن النجار، والمرجاني، والسمهودي) مع ما قدمته السجلات الشرعية والوثائق الإدارية والنقوش الأثرية، لترسم في مجموعها لوحة حضارية متكاملة الأركان. هذه اللوحة لم تكتفِ بتسجيل الأحداث الكبرى، بل غاصت في "تاريخ المسكوت عنه" من حياة يومية، وتقاليد اجتماعية، وأدوار فاعلة للمرأة المدينية، مما مكن الباحث المعاصر من استحضار صورة حية ونابضة عن طبيعة المجتمع المدني وهويته المتميزة. وقد ساهم هذا التراكم المعرفي في إبراز الأهمية القصوى للحجاز، ليس كإقليم جغرافي تابع للقوى المركزية، بل كمركز ثقل حضاري وروحي وسياسي في قلب العالم الإسلامي، كان يؤثر ويتأثر بكل ما يدور في القاهرة ودمشق وبغداد.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملاحق

ملحق (1):

الجدول الزمني للمؤلفات التاريخية والحكام المعاصرين لها

يربط هذا الجدول بين حركة التأليف وبين القوى السياسية المهيمنة، مما يوضح أثر الاستقرار السياسي أو الأحداث الكبرى على نشاط التدوين.

السنة (هـ)	المؤلف المحلي	أهم مؤلفاته	الحاكم/السلطان المعاصر	أهم الأحداث المرتبطة
597هـ	ابن الجوزي	مثير العزم الساكن	صلاح الدين الأيوبي / الملك العادل	ترسيخ السيادة الأيوبية وتأمين الحجاز
643هـ	ابن النجار	الدرة الثمينة	الملك الصالح أيوب	نهاية العصر الأيوبي وبداية نفوذ المماليك
654هـ	(فترة توثيق)	-	السلطان المنصور علي	وقوع حريق المسجد النبوي الأول
741هـ	المطري	التعريف بما أنست الهجرة	الناصر محمد بن قلاوون	عصر الاستقرار المملوكي والنهضة العمرانية
770هـ	المرجاني	بهجة النفوس والأسرار	الأشرف شعبان	تطور الوظائف العلمية والأوقاف بالحرم
886هـ	(فترة توثيق)	-	السلطان الأشرف قايتباي	وقوع حريق المسجد النبوي الثاني
911هـ	السمهودي	وفاء الوفا / خلاصة الوفا	السلطان قنصوة الغوري	قمة النضج التاريخي وإعادة إعمار المدينة

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ملحق رقم (2):
المعجم التحليلي للمعالم والمصطلحات المحلية في المدينة المنورة

أولاً: منشآت ومصطلحات الحرم النبوي الشريف

- **الحجرة النبوية الشريفة :**ويقصد بها حجرة السيدة عائشة (رضي الله عنها) التي تضم القبور الثلاثة؛ وثقت المصادر (خاصة السمهودي) تفاصيل بنائها ومراحل تطورها، وهي بؤرة التوثيق في كل المصادر.
- **الروضة والأسطوانات :**المساحة الواقعة بين المنبر والبيت النبوي، وحظيت بوصف دقيق لأعمدتها (الأسطوانات) بأسماءها التاريخية مثل "أسطوانة التوبة" و"أسطوانة السرير."
- **المنابر والمنصات :**تتبع المؤرخون تطور منبر النبي ﷺ وصولاً إلى المنبر الرخامي الذي أرسله السلطان قايتباي بعد الحريق الثاني عام 886هـ.
- **المآذن والقبة :**توثيق المآذن الأربع (لاسيما الرئيسية) وتتبع مراحل بناء القبة التي تعلو الحجرة، بدءاً من القبة الزرقاء وصولاً إلى الإصلاحات المملوكية الشاملة.
- **الخوخة :**ممر صغير أو باب فرعي بين الدور والمسجد، كخوخة أبي بكر الصديق، وكثيراً ما أرخ المؤرخون لإغلاقها أو فتحها كدلالة على التغيرات المعمارية.

ثانياً: التحصينات والطوبوغرافيا المكانية

- **السور النوري :**نسبة لنور الدين زنكي (بُني عام 557هـ)، وهو المعلم الذي حدد النطاق العمراني والسكني للمدينة لقرون، وأرخت به المصادر حدود "الداخل" و"الخارج."
- **القلاع والأبراج :**المنشآت الدفاعية التي أُضيفت للسور في العصر المملوكي لحماية المدينة من الغارات وربطها بالأمن القومي للدولة.
- **المناخ :**منطقة فسيحة خارج السور كانت تُناخ فيها إبل القوافل والحجيج، وذكرها المرجاني والسمهودي كوحدة جغرافية واقتصادية أساسية للمدينة.
- **الآبار والأودية :**رصد دقيق لمواقع الآبار النبوية (بئر حاء، رومة، بضاعة) وتحديد مسارات الأودية (العقيق، بطحان) وأثر سيولها على البنية التحتية.

ثالثاً: المنشآت والمصطلحات الإدارية والمالية

- **الشرافة :**مصطلح يعبر عن منصب إمارة المدينة الذي يتولاه "الأشراف" من بني حسين، ويتردد كثيراً في المصادر عند وصف السياسة المحلية والصراعات بين الأسر الحاكمة.
- **شيخ الحرم :**منصب إداري رفيع يمثل السلطة المملوكية المركزية، وهو المسؤول المباشر عن إدارة شؤون المسجد النبوي والخدام والوظائف الدينية.
- **الجوامك :**الرواتب النقدية التي كانت تُصرف من الأوقاف المملوكية للفقهاء والمؤذنين وخدام الحرم، وهي توثق الحالة الاقتصادية للطبقة العلمية.
- **الغلال (الصدقة) :**الحبوب والدقيق التي كانت تُرسل بانتظام من مصر لتوزيعها على أهل المدينة والمجاورين، مما يعكس الارتباط السياسي بين القاهرة والمدينة.

رابعاً: المؤسسات الاجتماعية والتعليمية

- **الرباط :**منشأة مخصصة لسكن الفقراء أو المنقطعين للعبادة (مثل رباط إيتمش أو موفق)، وتعد المصادر المحلية المرجع الأول لتراجم سكان هذه الربط وتوثيق أوقافها.
- **المدارس (الشهابية والأشرفية) :**المؤسسات التعليمية التي وثق المرجاني والسمهودي دورها العلمي؛ وتعد "المدرسة الأشرفية" التي بناها السلطان قايتباي قمة العمارة المملوكية الموثقة في هذه المصادر.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المصادر والمراجع

[1] ابن التغري بردي، ج. د .(1963) .*النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* .وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

[2] ابن الجوزي، ج. د. (د.ت) .*مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن* (م. ع. إبراهيم، محقق). دار الراية.

[3] ابن العماد، ع. ح. (د.ت) .*شذرات الذهب في أخبار من ذهب* .دار ابن كثير.

[4] ابن النجار، م. د. (د.ت) .*الدرة الثمينة في أخبار المدينة* (ص. م. المنجد، محقق). مطابع دار الكتاب العربي.

[5] ابن بطوطة، م .(1987) .*رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* .دار الشرق العربي.

[6] ابن حجر العسقلاني، ش. د. (د.ت) .*الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة* .مجلس دائرة المعارف العثمانية.

[7] ابن زبالة، م. د .(2003) .*أخبار المدينة* (ص. ع. الزين، محقق). مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

[8] الجابري، خ. م .(2005) .*الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي* .مؤسسة الفرقان للتراث.

[9] جاسر، ح. (د.ت) .*المدينة المنورة عبر العصور* .دار اليمامة.

[10] الجزيري، ع. ق. (د.ت) .*درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة* .المطبعة السلفية.

[11] الجوهر، ص .(2004) .*دراسات في تاريخ المدينة المنورة* .مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

[12] الذهبي، ش. د .(1996) .*سير أعلام النبلاء* .مؤسسة الرسالة.

[13] الذهبي، ش. د. (د.ت) .*تذكرة الحفاظ* .دار إحياء التراث العربي.

[14] الدوري، ع. ع .(2005) .*نشأة علم التاريخ عند العرب* .مركز دراسات الوحدة العربية.

[15] الزبيدي، م. م. (د.ت) .*تاج العروس من جواهر القاموس* .دار الهداية.

[16] الزركلي، خ. د .(1980) .*الأعلام* .دار العلم للملايين.

[17] سالم، س. ع .(1967) .*التاريخ والمؤرخون العرب* .مؤسسة شباب الجامعة.

[18] السخاوي، ش. د. (د.ت) .*التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة* .دار الكتب العلمية.

[19] سرور، م. ج. (د.ت) .*دولة بني قلاوون* .دار الفكر العربي.

[20] السمهودي، ن. د .(1997) .*وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى* .دار الكتب العلمية.

[21] السمهودي، ن. د. (د.ت) .*خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى* .المكتبة العلمية.

[22] السنيدي، هـ. م .(2007) .*ملامح الكتابة التاريخية للمدينة المنورة في القرن الثامن الهجري* [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة أم القرى.

[23] السيد، أ .(1999) .*الكتابة التاريخية عند العرب: دراسة في نشأة وتطور المنهج التاريخي* .دار الفكر العربي.

[24] السيوطي، ج. د .(2003) .*تاريخ الخلفاء* .مكتبة نزار مصطفى الباز.

[25] الشراري، م. د .(2012) .*بعض مظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر المملوكي* [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة الإسكندرية.

[26] عارف، أ. ع .(1996) .*تاريخ أمراء المدينة المنورة* .دار كنانة.

[27] الفاسي، ت. د. (د.ت) .*العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين* .دار الكتب العلمية.

[28] مالكي، س. ع .(1987) .*مرافق الحجيج والخدمات المقدمة للحجاج في الأراضي المقدسة* .دار المريخ.

[29] المطري، م. ع .(2005) .*التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة* (س. ب. كامل، محققة). دارة الملك عبد العزيز.

[30] المديرس، ع. ر .(2001) .*المدينة المنورة في العصر المملوكي* .مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

[31] المرجاني، ع. د .(1994) .*بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار* (ز. عزت، محقق). مكتبة الثقافة الدينية.
[32] المقريزي، ت. د .(1997) .*السلوك لمعرفة دول الملوك* .دار الكتب العلمية.
[33] المنوني، م .(1991) .*المداراس التاريخية في الحضارة الإسلامية* .دار توبقال.
[34] مؤنس، ح .(1984) .*التاريخ والمؤرخون: دراسة في علم التاريخ ومناهجه* .دار المعارف.
[35] نجم، ز .(1997) .*الإدارة في المدينة المنورة في العصر المملوكي* .مؤسسة الرسالة.
[36] النويري، ش. د. (د.ت) .*نهاية الأرب في فنون الأدب* .دار الكتب العلمية.
[37] هاشم، ع. س .(1982) .*المدينة المنورة في التاريخ* (ط 3). دار العلم.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **AJHAS** and/or the editor(s). **AJHAS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).